عنوان المقال:

اللغة الشعرية في رواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي

الأستاذة:غربي ويزة - قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة البليدة 2-

اقترن وجوداللغة الشعرية بظهور الرواية المعاصرة، وقد شكلت هذه الظاهرة التي يتجاور فيها الشعر مع السرد، جوهر الرواية المعاصرة، التي ارتقت لغتها وتماست مع لغة الشعر، مُحاولة تحقيق مطلب فني جمالي، بتسخير أدوات الشعر لخدمتها، من خلال لغة أضافت إلى تقريريتها بعدا جماليا أضفى عليها حسا شعريا متميزا، فهي لغة إيحائية متعددة الدلالة"تتميز بتعددية المرجع والإحالة وقابلية التأويل"[1] "فإذا كانت الرواية التقليدية أعطت مساحة أكبر للمطابقة على حساب الإيحاء، فإن الرواية المعاصرة قد أعطت مساحة أكبر للإيحاء"[2].. ولعل المسافة بين اللغتين في الرواية قد تقلصت، حيث "زادت مساحة اللغة الشعرية ذات البعد الإيحائي وأصبح أسلوب الرواية يركز على الرسالة ذاتها ولذاتها، مُعطيا أهمية للبعد الجمالي اللغوي في النسيج الروائي"[3].و"السرد بما فيه من عوالم تخييلية معقدة، وبما فيه من تشكيل لغوي، يعمد أحيانا إلى استعارة بعض أساليب الشعر ... ليشكل ما يعرف بالرواية الشعرية"[4].

وتعد الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي من الروائيين الذين كان لأعمالهم صدى واسعاً، حيث نجحت في استثمار الطاقة اللغوية لتوليد نصوص روائية ذات صبغة شعرية منها: ذاكرة الجسد الصادرة عام1993 التي ذكرت ضمن أفضل مائة رواية عربية، وفوضى الحواس1997 ، وعابر سرير في 2003 ، وآخر أعمالها "الأسود يليق بكِ" الصادرة في 2012حيث تجلى فيها البعد الشعري بوضوح.

وكان يفترض أن يؤدي هذا التداخل بين الجنسين الرواية والشعر إلى خلق نص نشاز، حسب الرافضين لتداخل الأجناس الأدبية، إعمالا لمبدأ صفاء ونقاء الأنواع الأدبية، حققت رواية أحلاممستغانمي "الأسود يليق بكِ" انسجاما وتلاحما بين البنيتين الشعرية والروائية، من خلال لغة تعالت عن تقريريتها المباشرة، وارتقت إلي مستوى فني جمالي، مما يقودنا لطرح الإشكال التالي:

كيف استطاعت أحلام مستغانمي استثمار آليات الشعر في روايتها؟ وكيف ظهر البعد الشعري في روايتها" الأسود يليق بك"؟

الإجابة على هذه الإشكالية كانت من خلال عرض بعض المظاهر الأسلوبية، التي تكرر وجودها في الرواية، مع الاستعانة ببعض مقومات النص الشعري، للوقوف على البنية الشعرية للرواية، كالمفارقة والانزياح.

واتبعت في ذلك بعض إجراءات المنهج الأسلوبي الذي يتجه إلى التشيكل والبناء الروائي، لإظهار بعض السمات الأسلوبية المميزة للرواية، التي ترتقي بلغتها لإبداع نص تتماس لغته مع لغة الشعر.

أصبحت الرواية الحديثة أكثر قدرة على استيعاب لغة الشعر في بنيتها، إذ تقترب لغة السرد في الرواية من اللغة الشعرية الموزونة، وقد ظهر هذا النوع من الكتابة عند بعض الروائيين العرب كجبرا إبراهيم جبرا، وإدوارد الخراط، في بعض أعمالهم، وواسيني الأعرج وعبد الملك مرتاض وسمير قاسيمي وأحلام مستغانمي، التي تبنت اللغة الشعرية في ثلاثيتها(ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، وعابر سرير)، وفي روايتها الأخيرة "الأسود يليق بك" حيث مزجت الروائية في لغتها بين الاستعمال النثري للكلمة والاستعمال الشعري لها، مما جعل الرواية تجمع بين خصائص الأسلوبين معا. وبداية يتوجب علينا تحديد مفهوم اللغة الشعرية وموقعها في الرواية العربية المعاصرة، للوقوف على مظاهرها في رواية "الأسود يليق بك"

1- اللغة الشعرية في الرواية المعاصرة:

تثير كلمة "شعري" عند غالبية النقاد الكثير من الغموض خاصة "إذا استعملت صفة لعمل ما، فإنها تحمل معها عادة موجة من الإبهام وخاصة عندما يطلق على الرواية"(5). والمقصود باللغة الشعرية في الرواية، هي تلك اللغة التي تتقاطع مع لغة الشعر، " فيكون النص ذو طبيعة تقترب به من الكلام المنظوم بلغة ذات تكثيف مجازي، واستعاري، وتوخي الإيقاع في السرد، وتضمين الكلام الكثير من الإيحاء الذي تتصف به لغة الشعر"(6)،فتتحول لغة الرواية بذلك إلى لغة شعرية. وقد اقترن ظهور اللغة الشعرية في الرواية العربية، مع ظهور الرواية المعاصرة،إذ أصبحت هذه اللغة من أبرز خصوصياتها. وكان ذلك إثر التحول الذي عرفته الرواية

العربية، بظهور مجموعة من العوامل التي أسهمت في حداثة الرواية وبروز شعرية لغتها منها:

- الدور الذي لعبته الرواية الجديدة في فرنسا، ومحاولات الروائيين الجدد لتطوير أدواتهم الفنية الروائية، إذ اتجهوا إلى إضفاء جو من الشعر على لغة الرواية عن طريق استثمار إمكانات اللغة، بوصفها عنصرا أساسيا في تشكيل البنية الفنية للرواية، ودعا بعض النقاد إلى العناية بلغة الرواية الحديثة عناية تقترب بها من جماليات لغة الشعر، وقد" ترجمت بعض النصوص للروائين الجدد خلال الستينات، ومن روادها: ناتالي ساروت، آلان روروب غرييه، كلود سيمون، وميشال بوتور"[7]. تقول "نتالي ساروت" متحدثة عن تجربتها اللغوية وكتابة الرواية الجديدة في فرنسا "إنني لم استطع قط وضع حدود بين الرواية والشعر"[8] يقول"ميشال بوتور" انقطعت عن كتابة الشعر منذ اليوم الذي بدأت فيه كتابة روايتي الأولى، لأحتفظ لها بكل طاقتي الشعرية"[9]، وقد أشار إلى أن قراءته لكبار الروائيين أشعرته بأن في أعمالهم طاقة شعرية مدهشة.

- تأثير الاتجاه الرمزي في أوروبا "الذي ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، خاصة في مجال الشعر على يد بودلير، ومالارميه، وبول فاليري، فقد أثاروا العديد من القضايا في مجال اللغة واستعمالاتها الشعرية، وحصروا مهمتها في الإيحاء لدى القارئ... ووجد الروائيون العرب الرمز أقوى في التعبير عن مكنونات الذات وما يعتريها من الآلام والأحزان مصدرها قتامة الواقع وتعاسته:"[10]

- فضلا عن تأثير الاتجاه الرومنسي في الأدب العربي، وأدباء المهجر "الذين تنحو أعمالهم النثرية، المنحى الشعري في لغتها، وفي مقدمتهم جبران"[11] الذي أطلق تيار الرومانسية في الأدب العربي، ورسخ لغة شعرية انتقل بها إلى لغة العصر، وبلغت قمة التفاعل بين الشعر والسرد تجلت في كتابه "الأجنحة المتكسرة".

أصبحت التجربة الروائية في الجزائر تركز مع جيل الأدباء الجديد على اللغة، "...حيث يبدو تشكيلها النصي وقد زخر بتلوين شعري زاد في عمق أدبية النص، وابتعد قليلا عن المفهوم النثري الذي ارتبط باللغة الإبلاغية التي لا تقلق ولا تدخلنا في المتاهات"[12]. واللغة الشعرية بهذا المعنى موجودة في الكتابة الروائية العربية المعاصرة التي تسعى إلى بناء نصوص

روائية بلغة شعرية، نلمسها في روايات كثيرة منها "رواية حليم بركات "ستة أيام" التي ظهرت عام 1961 الرواية العربية الأولى، التي أسست لهذا الأسلوب الشعري، ثم جاءت رواية عبد الحكيم قاسم "أيام الإنسان السبعة" التي تميزت بتكثيف لغتها الرمزية ولغتها الوصفية للمكان واستخدامها الواسع للمجاز والتشبيه، ورواية "تلك الرائحة" لصنع الله إبراهيم، التي ركزت على شعرية المجاز، وشعرية التفاصيل في لغتها السردية، وكذلك رواية حيدر حيدر الزمن الموحش "[13].ونجدها في الرواية التجريبية لواسيني الأعرج فالقارئ لأعماله "شرفات بحر الشمال" و"طوق الياسمين"، يلاحظ توجهه لاستعمال اللغة الشعرية، كما استطاع عبد الملك مرتاض " أن يتحسس طاقة الكلمة والتركيب في التعبير، لقد أوجد نمطية جديدة في الخطاب الروائي الجزائري تعتمد على شعرية الكلمة بخلاف تلك الأعمال الروائية الجزائرية التي احتفت بالحدث على حساب التجربة اللغوية"[14]وكذا الطاهر وطار، وبشير مفتي، وأمين الزاوي،وأحلام مستغانميفي روايتها "الأسود يليق بك"

2 - أحلام مستغانمي واللغة الشعرية:

إن الدارس لثلاثية الروائية (ذاكرة الجسد، عابر سرير، فوضى الحواس)، يلاحظ أن خطابها السردي يعتمد على لغة شعرية أكثر منه نثرية، فاللغة الشعرية لدى مستغانمي ملمح مهم على امتداد صفحات رواياتها، لقد هجرت مستغانمي عالم الشعر، لكنها مارست كتابته في عالم الرواية، فهي تكتب بلغة شعرية ميزت أسلوبها خاصة في رواياتهاالأخيرة "الأسود يليق بك".ولكن اللغة الشعرية عند أحلام ليست طفرة في روايتهاالأخيرة "الأسود يليق بك" بل يعود استعمالها لهذا الأسلوب منذ رواياتها الأولى، هذا الأسلوب الذي جعل الشاعر العربي الكبير نزار قباني يكتب فيمقدمة الطبعة الثانية لرواية "ذاكرة الجسد".. وبعد سنوات تصدر رواية ثانية "فوضى الحواس" عام 1998 في بيروت. ولعل أفضل ما يلخص مضمون العملين ما قاله نزار قباني عن "ذاكرة الجسد" وهو ينطبق على "فوضى الحواس":"روايتها دوختني. وأنا نادرا ما أدوخ أمام رواية من الروايات، وسبب الدوخة أن النص الذي قرأته يشبهني إلى درجة التطابق فهو مجنون، ومتوتر، واقتحامي، ومتوحش، وانساني، وشهواني.. وخارج على القانون مثلي. ولو أن أحدا طلب مني أن أوقع اسمي تحت هذه الرواية الاستثنائية المغتسلة بأمطار الشعر.. لما ترددت لحظة واحدة.. لقد كانت مثلي متهجمة

على الورقة البيضاء، بجمالية لا حد لها.. وشراسة لا حد لها.. وجنون لا حد له. الرواية قصيدة مكتوبة على كل البحور.. بحر الحب، وبحر الجنس، وبحر الايديولوجيا، وبحر الثورة الجزائرية بمناضليها، ومرتزقيها، وأبطالها وقاتليها، وملائكتها وشياطينها، وأنبيائها، وسارقيها.."[15]، ويمكن أن ينسحب هذا الكلام على آخر رواية لها "الأسود يليق بك"وقد أهدت الكاتبة روايتها "ذاكرة الجسد" للروائي الجزائري الكبير مالك حداد فتقول:

"إلى مالك حداد، ابن قسنطينة الذي أقسم بعد استقلال الجزائر ألا يكتب بلغة ليست لغته..فاغتالته الصفحة البيضاء..ومات متأثرا بسلطان صمته..ليصبح شهيد اللغة العربية، وأول كاتب قرر أن يموت صمتا وقهرا وعشقا لها "[16]

يعكس هذا الإهداء تأثر أحلام مستغانمي بمالك حداد ابن مدينتها قسنطينة، الذي مات عاشقا للغة العربية،فهي تشبهه في عشقه للعربية تقول الروائية:

"كان يمكن أن أكتب بالفرنسية، ولكن العربية هي لغة قلبي...ولا يمكن أن أكتب إلا بها...نحن نكتب باللغة التي نحس بها الأشياء.

ولكنك لا تتحدثين بغير الفرنسيّة...

إنها العادة...

قالتها ثم واصلت تأمل اللوحات قبل أن تضيفي:

المهم...اللغة التي نتحدث بها لأنفسنا وليست تلك التي نتحدث بها للآخرين! "[17]

تحولت اللغة العربية عند الروائية من مجرد أداة توصيل وتواصل إلى لغة إحساس بالأشياء.تقول الروائية:"معك رحت اكتشف العربية من جديد أتعلم التحايل على هيبتها، أستسلم لإغرائها السري، لتعاريجها، لإيحاءاتها.رحت أنحاز للحروف التي تشبهك..لتاءالأنوثة..لحاءالحرقة..لهاءالنشوة..لألفالكبرياء..للنقاط المبعثرة على جسدها خال أسمر..هل اللغة أنثى أيضا؟ امرأة ننحاز إليها دون غيرها، نتعلّم البكاء والضحك..والحب على طريقتها..وعندما تهجرنا نشعر بالبرد وباليتم دونها؟

تراك قرأت تلك الرسائل؟ هل شعرت بعقدة يتمي وخوفي من مواسم الصقيع؟" [18]

تشبه مالك حداد في رواياته التي تشاركه فيها الكتابة عن الجزائر، " فقد دارت روايات حداد حول الثورة الجزائرية، في دوامة من المشاعر والعواطف، وتشكل شخصية الكاتب والثورة نبعاً غزيراً لرواياته، ويبرز حداد في رواياته كاتب شعر أكثر منه كاتب قصة...وتشكل رواياته قصائد، تظهر فيها من حين لآخر تصريحات وطنية وحماسية، وهو ينظر إلى الحدث كشاعر بقلبه قبل فكره وتكاد رواياته تتحول إلى قصيدة شعري. [19] ولعل اطلاع أحلام على رواياته إعجابها بهذه اللغة الشعرية التي كان يكتب بها مالك حداد هو الذي دفعها لانتحاء هذا النحو من الكتابة فنراها تتبناها في رواياتها. وقد يكون الكاتب الكبير مالك حداد من المرجعيات التي تأثرت بها أحلام مستغانمي في هذا النمط من اللغة الروائية.

فعندما تقول أحلام مستغانمي في روايتها "الأسود يليق بك":

" أي حماقة أن تضعي أعلى علامة لرجل قبل امتحانه،

مراهنة أنك بتجميل عيوبه،

ستكسبين رهان تحويله إلى فارس زمانه"[20]

ويمكننا أن نلمح طغيان الشعري على السردي في هذا المقاطع

أو تقول:

" نزلت من السيارة وكأنها راقصة باليه

تنتعل خفين من الساتان.

تمشي على رؤوس الأحلام التي أصبحت لها أقدام"[21]

يلاحظ القارئ إيقاعا يسرى بين الكلمات، إذ جاء السرد في هذا المقطع مشحونا بوهج الشعر، مستعيرا لغته وصوره ودلالاته، جامعا بين الحكي وطبيعته النثرية، والشعر وطابعه الوجداني الغنائي التكثيفي.لقد انتقلت أحلام مستغانمي "...بالمتن الروائي من نثريته الشكلية إلى شعرية تدفع بالقارئ إلى التوتر بدل الارتخاء "[22]

جاء النص الروائي **"الأسود يليق بك"** من الجنس المختلط، الذي يلتقط الكثير من الأجناس أهمها الشعر، فتظهر الرواية كبنية "استفادت من أمثولة الرواية لتكون شعرا..."[23] رغم أن المؤشر الأجناسي يعلن على غلاف الكتاب بأنها رواية، وفي المتن الكثير من الشعر، دليل على أنها لا تقيم فاصلا بين الجنسين، كما أن "الارتقاء بمكونات الأداء النثري يعني الاندماج في فضاء الشعر وممكناته"[24]، وهذا ما سمح للروائية المزج بين الاستعمال النثري للكلمة والاستعمال الشعري لها، فهشاشة الحدود بين النثر والشعر جعلت من الرواية تجمع بين خصائص الأسلوبين معا إذ" لا يمكن الفصل، بين الشعري والسردي في هذا النص، وذلك إذا اعتمدنا المفهوم الواسع والمعاصر للشعرية."[25]

3-الظواهر الأسلوبية في رواية "الأسود يليق بك":

إن الاهتمام بشعرية الرواية يكون بتحليل لغتها الشعرية، من خلال تقصي الظواهر الأسلوبية التي تكرر ورودها في الرواية، بحيث شكلت ظاهرة بارزة أعطت للنص طابعه المميز، بالاعتماد على مقومات النص الشعري، للولوج إلى عوالم النص الروائي، وإن الكشف عن شعرية اللغة في رواية "الأسود يليق بك" يستدعي استنطاق بعض خصائصها الأسلوبية المتمثلة في "المفارقة اللفظية التي تتجاوز سطحية الأشياء إلى عمقها والتي تكمن شعريتها في التضاد الذي تبنى عليه، كما يمكن ملامسة هذه الشعرية في البنية الصوتية والمتجسدة في الإيقاع، الذي لا تخلو الرواية منه ويتمثل في السجع والتكرار، كما تظهر في تراكيب لغوية انزاحت عن مستوى اللغة اليومية التقريرية.

- مفارقة التضاد اللفظي:

تعتبر المفارقة[26]من أهم مقومات النص الإبداعي، خاصة في الرواية فهي وسيلة للتمييز بين اللغة الشعرية واللغة العادية، والمفارقة "أن يساق معنى ما في حين يقصد منه معنى آخر غالبا ما يكون مخالفا للمعنى السطحي الظاهر"[27] وتقوم شعرية المفارقة بشكل أساسي على التضاد بين المعنى الظاهري والباطني. برز في "الأسود يليق بك" مظهران منها؛ في العنوان وفي الأحداث.

-المفارقة وشعرية العنوان:

إن أول مواجهة لقارئ النص الروائي تكون مع عنوانه، فالعنوان هو العتبة الأولى للنص، ويمثل العلامة الأولى المنشئة لعنصر المفارقة في النص الروائي، فعبارة "فالأسود يليق بك" عنوانا للرواية عبارة كان طلال يكتبها على بطاقة باقة ورد التوليب (Tulipe) التي كان يهديها لهالة بعد كل حفل غنائي كانت تقيمه، ليعبر لها عن إعجابه بها، وهي ترتدي اللون الأسود، إعلانا عن حدادها على موت أبيها وأخيها، وتتخذ منه رمزاً وطنياً، فاللون الأسود عندها فلسفة في الحياة وليس مجرد لون فقط، فهو تعبير عن موقف تجاه الأحداث في الجزائر، فمنذ القراءة الأولى للعنوان تواجهنا اللغة الشعرية، فصياغته أولا تختلف عما هو متداول من عناوين الروايات التقليدية، كما أن الأسود لون للحزن والأسى، وكان يُفترض حسب المجرى العادي للأمور ألا يليق بهالة، لأننا عادة نعجب بالألوان الفاتحة الزاهية فهي رمز للحياة والاستمرار تضفي على حياتنا البهجة والزينة، مع ذلك يُعجب طلال بهالة وهي مرتدية حلة سوداء لا تبدلها أبدا حتى لا تُنسيها الأيام حزنها وقضيتها، فهو يليق بها في نظره، لأنه لغة ثانية تعبر بها هالة عن الوضع الذي عاشته الجزائر ويحب أن يراها بهذا اللون، كما يحب لون أزهار الزنابق السوداء رغم أن لونها غريب، فقد جاءت صورة زهرة " التوليب" على غلاف الرواية،ليكون اللون في كل ذلك شفرة خاصة، فيصبح تيمة رئيسية في الرواية، إذ يتحول من رمز للحزن والموت إلى رمز للإثارة وللحياة والانبعاث، إنها إرادة الحياة التي دوما تنتصر.

- مفارقة الأحداث:

تقوم أحداث الرواية على المفارقة التي لجأت إليها الروائية للجمع بين المتضادات في سياق لغوي واحد، فقد جمعت الرواية بين حدثين الحدث الأول يدور حول قصة حب بين فتاة جزائرية بسيطة، ورجل لبناني ثري أحبها منذ أن سمعها تتكلم لأول مرة في لقاء تلفزيوني، أما الحدث الثاني فيدور حول العشرية السوداء التي عاشتها الجزائر مع بداية التسعينات، ليشكل الحدثان ثنائية (حب/ حرب) وهما محورا أحداث الرواية، امتزجت فيهما شعرية الأحداث بشعرية اللغة.

لقد بوأت الرواية الموضوع الوجداني مرتبة أساسية، بدأت قصة الحب بين هالة وطلال، بمجرد أن سمعها تجيب على أسئلة الصحفي في إحدى القنوات

العربية، فقد تعشق الأذن قبل العين، تقول الروائية واصفة صراع هالة الداخلي وهي ذاهبة للقاء طلال، بين عقلها الذي يريد كبح جماح قلبها، ولكنها لم تخضع لأوامره، فبدل أن تفقد قلبها فقدت عقلها: " كان حبها ابنا لقدر ثمل بتهكم الأضداد. "لا تذهبي **بقلبك** كله" قال لها **عقلها**. لكنها ذهبت **بقلبها**كله .. **وعادت بلا عقل**"[28] وتظهر المفارقة في قولها "عادت بلا عقل"، إذ كان من المفروض أن تعود بلا قلب، حسب سياق الكلام، وهنا يكمن التضاد بين ما نتوقعه وعكس ما يأتي به سياق الكلام وهنا تحدث المفاجأة، "ويلجأ الفنان إلى ذلك لأن التركيبات القائمة على المتشابهات لا تفي بتحقيق تلك الرغبة، ومن ثم كان حتما على الفنان أن يلجأ إلى أبنية فنية خاصة تقوم عل التناقض والتضاد لتنقل التجربة وتعود من رحلة الكشف غاصة بالدلالات المتلاحمة."[29]

يرتبط الحدث الأول بأحداث الصراع بين الحياة والموت في فترة الإرهاب والعنف، إنها المفارقة الواقعة في المجتمع الجزائري بين الإخوة الأعداء، جراء دوامة عنيفة طالت العباد والبلاد وأفرزت متناقضات كثيرة، تقول الروائية:" تم إلقاء القبض ذات مرة في العاصمة على أربعين شابا وصبية معظمهم من الجامعيين، أودعوا السجن فيما كان الإرهابيون يغادرونه بالمئات مستفيدين من قانون العفو. كان زمنا من الأسلم فيه أن تكون **قاتلا** على أن تكون **عاشقا**" [30] إنها الثورة التي تقلب المفاهيم، وتخلق مجتمعا توشى فيه الناس بالأسود ليعبروا عن حدادهم وحزنهم، يليق للتعبير عن زمن الفاجعة التي عاشوها.

استعملت الروائية معجما ثريا يتناسب مع تيمة الحب من خلال استعمال الألفاظ التالية (الفراق، الرغبة، عشاق، الحب، السعادة، الحنين، يغازل، القلب، الأحاسيس، المشاعر، الهجران، المولعة، يشتاق، الشغف، العواطف، الوفاء، الوصل، البعاد، الأشواق، لوعة...)

كما استعملت الروائية معجما للألفاظ الدالة على الصراع وعلى الموت خاصة في الحركة الأولي والثانية منها: (الثورة، القتل، التطرف، الأسلحة، الموت اغتيال، الجثث، تهديد، الإرهابيين، ينازل، مذبحة، القتلة، الاعتقال...) وتورد الروائية فقرة كاملة من الكلمات المترادفة في سياق الحديث عن أخيها الذي نزل من الجبل، بموجب قانون المصالحة الوطنية، فتقول:"الآن وقد خبر كل شيء، يحتاج إلى إعمار روحه مما حل بها من خراب. حتى الكلمات تتطلب منه إعادة نظر (الوطن، الشهيد، القتيل،

الضحية، الجيش، الحقيقة، الإرهاب، الإسلام، الجهاد، الثورة، المؤامرة، الكفار)"[31]

لكن تلجأ الروائية أحيانا لاستخدام كلمات من معجم الحب وتوظفها في معجم الحرب كأن تقول:"كان عليه أن يحبها إذا أقل، لكنه يحلو له أن **ينازل الحب و يهزمه**إغداقا. هو لا يعرف للحب مذهبا خارج، رافعا سقف قصته إلى حدود الأساطير. وحينها يضحك الحب منه كثيرا، **ويرديه قتيلامضرجا بأوهامه**"[32]

تستعمل لغة الحرب للحديث عن الحب تقول:" أن تنتظرها كما لو أن لا امرأة سواها على الأرض، **يا للجهاد.. يا للنصر العظيم**حين تفوز بها..**كقناص** يعرف كل شيء عن **طريدته**"[33] ويشكل هذا التضاد كسرا لنمطية المعجمين، وهو جوهر المفارقة التي تقوم شعريتها على هذا التضاد، لقد اكتسبت الكلمات السابقة دلالات غير دلالاتها المعجمية، فأصبحت مناسبة للسياق الذي جاءت فيه، وكلما اشتد التضاد ازدادت حدة المفارقة في النص وازدادت شعريته.

- اللغة وطاقتها الإيقاعية في الرواية

يعد الإيقاع أحد أهم خصائص النص الأدبي وأكثرها ظهورا، تميز الإيقاع بحضور مكثف في الرواية وبأشكال مختلفة، ألبسها حلة شعرية متميزة. قوامها الترديد المنغم، إذ هو" تردد ظاهرة صوتية على مسافات محددة النسب"[34] وهذا يعني أنه "... تنظيم لأصوات اللغة بحيث تتوالى في نمط زمني محدد"[35].

ينقسم الإيقاع إلى قسمين داخلي وخارجي، سأكتفي بدراسة الإيقاع الداخلي لأن موسيقى الرواية تتجلى بصورة أحسن في هذا المستوي. فإذا كانت الموسيقى الخارجية تتمثل في الوزن والقافية، فإن الموسيقى الداخلية، هي كل ما من شأنه أن يحدث جرسا موسيقيا ونغما مؤثرا منه التكرار والتجنيس، فالإيقاع في النثر غير مشروط بالوزن. "فلغة النثر ليست موزونة ولكن ينبغي ألا يكون النثر خاليا من الإيقاع ...فالنثر إذا ينبغي أن يكون إيقاعيا غير موزون"[36] "ويعد التكرارمنالظواهرالأسلوبية التي تستخدم لبث إيقاع يثري اللغة ويقربها من لغة الشعر، ورغم أن التكرار قد يثير الملل أو الرتابة في نفس القارئ، لكن الروائية أحسنت توظيفه، بحيث لم يأتِ مجرد

ترديد للكلمات فقط، وتستعمل الروائية التكرار على مستوى الحروف والكلمات وعلى مستوى اللازمة.

- تكرار الحروف والكلمات:

ظهر جمال الإيقاع من خلال تكرار الحروف، وهو ما يعرف بالجناس حين تجتمع لفظتان في الحروف كلها أوبعضها وتختلفان في المعنى، فيحقق هذا الأمر إيقاعاً ظاهرا، تقول الروائية: "ففي تلك الأيام كان المهم أن تحفظ رأسك لا أن تحفظ درسك"[37] وتقول كذلك "رأسه شبه مفصول عن **جسده**، ولحيته مخضبة **بدمه**. كانت**لحيته هي شبهته**"[38]"هو يقيس الحب **بالعملات** وأنت **بالوحدات**" ويتحقق الإيقاع الشعري عبر تكرار بعض الحروف كما في الثنائيات التالية(**رأسك، درسك**) (**لحيته، شبهته**) (**بالعملات، بالوحدات**). وثمة جمل مسجوعة تضفي إيقاعاً خاصاً ولقد " أشار قدامة ابن جعفر إلى أن السجع في النثر كمثل القافية في الشعر"[39] منه قولها "تنتهي **السفرة** وتطير **السكرة**"[40] كذلك" لماذا كل تلك **القسوة**، لماذا يغدق عليها اليوم كل هذه **النشوة**. دوما كان جامحا في **مجينه**، صارما في **رحيله**"[41] وأكسب السجع الأسلوب جرسا موسيقيا تطرب له الأذن.

وأما في قولها: "أنا **شجرة** توت لا رداء لي أصلا إلا السواد. منذ ذلك الحين، وفي انتظار أن تراه مجددا، ماعادت **شجرة** واحدة، بل غابة من النساء. هي **شجرة** الكرز المزهرة، هي **شجرة** الصبار والصفصاف الباكي، و**شجرة** اللوز، و**شجرة** الأرز..."[42]،ويعطي تكرار كلمة (شجرة) جرسا موسيقيا تستسيغه الأذن.

- الانزياح:

نظر النقد الحديث إلى الانزياح بوصفه أهم عناصر الشعرية، ووسيلة للتفريق بين اللغة الشعرية واللغة العادية. ويعد جان كوهين الانزياح جوهر اللغة الشعرية لأن الشعر يعتبر"مجاوزة منتظمة بالقياس إلى اللغة العادية"[43] تتجلى هذه الظاهرة في النص من خلال استخدام العناصر اللغوية استعمالا غير مألوف... وبهذا تكون ظاهرة "الانحراف من أهم الظواهر التي تعكس اللغة الشعرية في تجاوزها للنمط التعبيري المألوف و المتواضع عليه"[44]

- **الانزياح وخرق قوانين اللغة:**

يعد الانزياح من بين" المفاهيم التي صاغتها الأسلوبية المعاصرة لوصف لغة الشعر، باعتبارها أرقى مستويات اللغة، وكلما حصل أكبر خرق للمعايير اللغوية العادية اقتربت اللغة من جوهر الشعر. "ويكون الانزياح على المستوى المحلي وينمثل في الاستعارة والتشبيه، وعلى المستوى الشامل ويصيب النص كله "[45] أصبحت لغة الرواية بحكم طبيعتها الفنية ذات تعبير جمالي يعج بالانزياحات"[46] فاللغة النثرية ثابتة المعنى، أما اللغة الشعرية فهي لغة تثير المتلقي "ومن خصائصها أنها تحمل أكثر من معنى للقراءة والتأويل"[47]، واللغة الشعرية هي انزياحعن لغة النثر، والانزياح عنه يعد دخولا في اللغة الشعرية التي تعني " كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة" [48]

تتميز لغة "الأسود يليق بك" بانزياحات عدلت عما تعارف عليه الناس من استعمالات للغة. تقول الروائية:" أوصلته عزلته إلى هذه الاستنتاجات غالبا ما يعود إلى وكره، كما أنه يرتب ملفاته هو اليوم هناك ليعد خساراته. لقد **أفقره حبها**..."[49]، وتقول:" **بقي على جوع إليها**. لكنه **أبقاها ضمأى إليه**. في هذه المرحلة يحتاج الحب إلى أن **يقتات من تعطشها** لمعرفة المزيد عنه"[50]، "ذهبت **تفتح الباب للحب**"[51] فالحب والشوق واللهفة حالات نفسية شعورية تعاني منها النفس العاشقة، استحالت كلها إلى صفات بيولوجية (جوع، عطش) مادية (فقر)، فمن المعروف أن نجوع ونعطش للأكل والشرب، لا أن نجوع ونعطش للأشخاص، لقد شحنت أحلام هذه التعابير بمدلولات جديدة لم تحملها من قبل.

- تقوا أيضا:"**جغرافيتهم** هي التي أنجبت **التاريخ** على مدى تسعة اشهر"[52] هنا تظهر قمة الغرابة في تحول الجغرافيا إلى أم للتاريخ في إشارة من الروائية لجدلية الزمان والمكان، في حديثها عن ثورة الأوراس (المكان) التي " انطلقت منها شرارة التحرير. ما كان يمكن للثورة أن تولد إلا في تلك الجبال"[53] التي أعطت الحياة للتاريخ (الزمان)، وكأن بها تريد أن تقول بأن جبال الأوراس انجبت الاستقلال، ولكن ليس بهذه اللغة التقريرية المباشرة، بل جاءت بلغة خرجت بها الروائية عن المألوف والمتعارف عليه إذ اختارت مكونات أخرى غير معروفة.

- صورة أخرى مفعمة بالغرابة جاءت في قولها:"ها قد أصبح يتصرف كصائد يجمع كل التفاصيل عن ضحيته، ماذا لو كان هو ضحية في **حب كامل الدسم ..مكتمل الألم**"[54]عبارة ليست متداولة من قبل، لأول مرة نسمع بحب كامل الدسم.

- "كل صباح، يصعد رعاتها **السلم الموسيقي**، أثناء تسلقهم مع أغنامهم جبالها. يطلقون حناجرهم بالغناء، فيحمل الصدى مواويلهم عابرا الوديان إلى الجبال الأخرى"[55] لقد أصبح للجبل سلما موسيقيا يتسلق نوتاته رعاة مروانة وهم يغنون، وهذا الربط بين صورة الجبل وسلم النوتات الموسيقية يؤكد ارتباط الرعاة بهذا المكان الذي أصبح يشاركهم فرحتهم وغناءهم الذي يحمله الصدى إلى أبعد الحدود.

تقول الروائية:"**هوطاعن في المكر العاطفي**، ويعرف كيف يسقط أنثى كتفاحة نيوتن في حجره. لكنه يريدها أن **تنضج عل غصن الانتظار**..." [56]جاءت الصورة مخالفة للمألوف والمنطقي، ذلك أنّ مفهوم النضج مرتبط في دلالته المنطقية السائدة بالأشياء، إلا أن الكاتبة كسرت هذه العلاقة النمطية، وشكلت علاقة أخرى جديدة، ولكن بطريقة تختلف عن الطريقة الأولى إنه نضج على غصن الانتظار علاقة مجازية، مولدة لرؤية شعرية، مفارقة لما هو نمطي.

- شعرية الانزياح:

إن اللغة لدى أحلام مستغانمي انزياحية، ابتعدت عن مدلولاتها المعجمية الأولية، تجعل المتلقي في كثير من الأحيان يصاب بالدهشة وخيبة التوقع التي تحقق جمالية للنص وشاعريته،" فالانحراف أسلوب مقصود من المؤلفة الغاية منه تكريس قيمة فنية وجمالية، تنبجس في النص لتوليد عناصر ذات أبعاد جمالية تقود للتأثير في القارئ" [57] وهكذا يكتسب الانزياح قيمته في خلق تصورات غير مألوفة في سياق الرواية.

تمكنت الروائية من بناء نص تداخل فيه السردي بالروائي، وتماهت فيه الحدود بينهما، "... من دون أن تكون إقحاما يستدعي استشعارا بنشاز ما...إنها سردية لا تستعير الشعرية، وإنما تتبناها عنصرا من عناصر حياتها. حيث تنتفي الحدود الفاصلة بين الشعري والسردي وتغدو اللغة حمالة الوجهين معا، إذ يجب القفز على المعايير التصنيفية المعهودة، والقول

بأن لغة الشعر هنا هي ذاتها لغة السرد، إنها لغة واحدة تتضامن لخدمة النص تحقيقا لأمر واحد هو الإمتاع "[58]

خاتمة:

تمكنت الرواية الحديثة من صهر جنسين أدبيين في نسيج واحد، هما أبعد ما يكون عن بعضهما الشعر والنثر، في ظل الاتجاه الذي يدعو لتراسل الأجناس الأدبية والتحاور فيما بينها، كما استطاعت الروائية أحلام مستغانمي بما تمتلكه من أدواتٍ لغوية أن تعيد تشكيل لغتها الروائية التي لامست لغة الشعر عبر استخدام المفارقة، والإيقاع، والتصوير الفني في الوصف، وهي المظاهر التي تجلت فيها شعرية اللغة عند أحلام مستغانمي في روايتها "الأسود يليق بك".

الهوامش:

1 - يعقوب ناصر، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية(1980-2000)، ص 76.

2 - المرجع السابق، ص75.

3 - المرجع نفسه، ص ص85-86.

4 - خليل إبراهيم، تيسير سبول من الشعر إلى الرواية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط 1، 2005، ص 76.

5- بوتور ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، ط2، 1982، بيروت لبنان، ص 19.

6 - خليل إبراهيم، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط 1، 2010، ص 255.

7 - يعقوب ناصر، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية الجديدة (1980 - 2000)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص14.

8 - مرتاض عبد الملك، في نظرية النقد، متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2002، ص .187

9- بوتور ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ص .16

10 - يعقوب ناصر،اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية(1980-2000)،ص 16.

11 - المرجع نفسه، ص 16 – 17.

12- بن سالم عبد القادر، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري، بحث في التجريب وعنف الخطاب في الثمانينات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص.31

13 - نجم مفيد، "شعرية اللغة وتجلياتها في الرواية العربية دور اللغة في تشكيل حداثة الرواية"، مجلة نزوى، ع 51، 2009، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.nizwa.com/articles.php?id=1547

14- المرجع السابق، ص 86.

15 - عبد السلام صحراوي، "الأناقة والاغراء في لغة أحلام مستغانمي"، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، العدد السابع والعشرون، 13-07-2009 ، منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.nizwa.com/articles.php?id=1547.

16 - مستغانمي أحلام، ذاكرة الجسد، دار الآداب بيروت، ط 15، 2000، ص 5.

17- المصدر نفسه، ص 91.

18- المصدر السابق، ص ص. 218- .219

19 - مالك حداد :ويكيبيديا، الموسوعة الحرةhttp://ar.wikipedia.org/wiki: في 7مارس 2013. action=history

20 - مستغانمي أحلام، الأسود يليق بك، دار نوفل، بيروت لبنان، 2012، ص 52

21 - مستغانمي أحلام، الأسود يليق بك، ص 38.

22 - بن سالم عبد القادر، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات، ص ص 6 – 7.

23- بوتور ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ص 37.

24- المرجع السابق، ص11.

25 - خليفة قرطي، "النمذجة وشعرية السرد في الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي، جريدة الخبر اليومية الصادرة في: 31- 05 -2013 ، ص 15.

26- المفارقة(Ironie) مصطلح غربي لم تعرفه العربية، ولم يدخل دراساتها إلا من وقت قريب عبر الترجمة. سبب هذا المصطلح جدلاً واسعًا حوله في الغرب، فهو مصطلح غامض وشائك ويثير الالتباس. فإذا كان مالا تاريخ له يمكن تعريفه على حد تعبير نيتشه؛ فإن مسألة إيجاد تعريف محدد لهذا المصطلح المراوغ العصي على الفهم، يعد مسألة صعبة جدًّا نظرًا لتاريخه الطويل المتشعب.

27 - السعدني مصطفى، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 213.

28 - المصدر السابق، ص 127.

29 - ملوك رابح، بحث في بنية الصورة الشعرية وأنماطها عند الماغوط، دارميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2008، ص 125.

30- مستغانمي أحلام، الأسود يليق بك، ص 26.

31 – المصدرالسابق، ص 95.

32 - المصدر نفسه، ص .12

33 - المصدر نفسه، ص .44

34 - سلطان منير، الإيقاع في شعر شوقي الغنائي، الكلمة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2005، ص.172

35 - البحراوي سيد، العروض وإيقاع الشعر العربي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1993، ص.112

36 - هلال غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ص 122.

37 - مستغانمي أحلام، الأسود يليق بك، ص .80

38 - المصدر نفسه، ص .194

39 - مبارك زكي، النثر الفني في القرن الرابع، ج1، دار الجيل بيروت، 1975، ص 118،

40 - مستغانمي أحلام، الأسود يليق بك، ص 244.

41 - المصدر نفسه، ص .251

42 -المصدر نفسه، ص 186.

43 - جونكوين، بناء لغة الشعر، في النظرية الشعرية، ص .215

44 - ربابعة موسى سامح، الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، دار الكندي، 2003، ص.43

45- المرجع، السابق، ص .36

46 - يعقوب ناصر،اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية(1980-2000)،ص72.

47- مرتاض عبد المالك، قضايا الشعريات متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة، منشورات دار القدس العربي، ط1، ص ص121 - 122.

48- المرجع السابق، ص 24.

49 - مستغانمي أحلام، الأسود يليق بك، ص ص 13 – 14.

50 - المصدر نفسه، ص 50.

51 - المصدر نفسه، ص 136.

52 - المصدر نفسه، ص62.

53- المصدر السابق، ص62.

54 - المصدر نفسه، ص 72.

55 - المصدر نفسه، ص 65.

56 - المصدر السابق، ص71.

57 - ربابعة موسى صالح الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص 36.

58- خليفة قرطي، "النمذجة وشعرية السرد في الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي"، ص15.